حرف الهاء

وأغضّ طرفي

قال يفتخر:

[الكامل]

يـا عَـبْـلُ! أيـنَ مِـنَ الـمَـنِـيّـةِ مَـهْـرَبـي
إنْ كـانَ رَبـي فـي الـسّـمَـاءِ قَـضَـاهَـا[١]؟
وَكَـتـيـبَـةٍ لَـبّـسْـتُـهَـا بـكَـتـيـبَـةٍ
شَـهْـبَـاءَ بـاسِـلَـةٍ يُـخَـافُ رَدَاهَـا[٢]
خَـرْسَـاءَ ظَـاهِـرَةِ الأَدَاةِ كَـأَنّـهَـا
نـارٌ يُـشَـبّ وَقُـودُهَـا بـلَـظَـاهَـا[٣]

(١) يشك بعض الرواة في هذا البيت، لما فيه من نزعة إسلامية؛ فالموت حقّ لا مفرّ منه؛ وذلك قضاء اللّه تعالى.

(٢) لبستها: هاجمتها. الكتيبة الشهباء: الفرقة الجيّدة التسليح بمعداتها الحربية من السلاح. الباسلة: الشجاعة. الردى: الموت. من عادة الشاعر مزاولة الحروب، إنه يصف عمله المعتاد، ها هو ذا يقود إحدى الكتائب ويهاجم مجموعة أخرى، وقد استعدّ للطعان بصحبة كاملة العتاد مرهوبة الجانب تنبئ بهلاك من تستعديه.

(٣) خرساء: لكثرة عددها لا يفهم بعضهم على بعض لشدّة جلبتها. ظاهرة الأداة: بادية السلاح لكثرته. يصف الشاعر تلك الكتيبة، فهي كثيرة العَدَد =

فـيـهَـا الـكُـمَـاةُ بَـنُـو الـكُـمَـاةِ كَـأنّـهُـمْ
وَالـخَـيْـلُ تَـعْـثُـرُ فـي الـوَغَـى بـقَـنَـاهَـا[١]
شُـهُـبٌ بـأيْـدي الـقَـابِـسِـيـنَ إذا بَـدَتْ
بـأكُـفّـهِـمْ بَـهَـرَ الـظّـلامَ سَـنَـاهَـا[٢]
صُـبُـرٌ أعَـدّوا كُـلّ أجْـرَدَ سَـابـحٍ
وَنَـجـيـبَـةٍ ذَبـلَـتْ وَخَـفّ حَـشَـاهَـا[٣]
يَـعْـدُونَ بـالـمُـسْـتَـلْـئِـمـيـنَ عَـوَابِـساً
قُـوداً تَـشَـكّـى أيْـنَـهَـا وَوَجَـاهَـا[٤]

= والعُدَد، لا يفهم بعضُهم بعضاً لكثرة ضجيجهم، فهي بمثابة نار اشتعلت وارتفع لظاها فبدا من بعيد.

(١) الكُماة، مفردهم كميّ: الشجاع الكامل السلاح. الوغى: الحرب. قوام تلك الكتيبة أبطال ورثوا البطولة وأمجادها من الأجداد كما ورثوا عنهم أسلحتهم، ولكثرتها وازدحامهم، فهم يعثرون بالقنا لكثرة ما يكسر منها.

(٢) شُهُب، مفردهم أشهب: المنيرون. القابس: طالب النار. بَهَر: أدهش بشدّة ضيائه. يصف الشاعر أفراد الكتيبة بأنهم شعلة تلتهب ضياءً يستمد منهم طالب الضوء والنار حاجته إذا شرّعوا أسلحتهم أنارت السماء فاختفت الظلمة وسطعت الأضواء.

(٣) أجرد سابح: الجواد القصير الشعر يسبح في عدوه. النجيبة: الفرس ضمر لحم أحشائها لكثرة جريها. إن أفراد تلك الكتيبة يمتازون بالصبر في ميادين القتال؛ وتلك مزيّة هامّة تُؤذن بالانتصار. وهم قد استعدوا للمعركة بكلّ وسائل الانتصار وهم يمتطون جياداً تسبح في جريها بسرعة الانقضاض، حتى الإناث منها ضمرت أحشاؤها لكثرة ممارستها للمعارك.

(٤) المستلئمين: الدارعين. القود: المنقادة رغماً عنها. الأين: الفتور. الوجى: الحفاء. يصف الشاعر الكتيبة وأفرادها يمتطون خيولهم العابسة الغاضبة المطواعة لفرسانها، وقد اتجهت إلى أبطال الأعداء الذين استعدّوا للمعركة، وقد اعتمروا الخوذ لحماية رؤوسهم.

يَحْمِلْنَ فِتْيَاناً مَدَاعِسَ بالقَنا
وُقُراً إذا مَا الحَرْبُ خَفّ لِوَاهَا[١]
مِنْ كُلّ أرْوَعَ مَاجِدٍ ذي صَوْلَةٍ
مِرسٍ إذا لحِقَتْ خُصَى بكُلاهَا[٢]
وَصَحَابَةٍ شُمّ الأنُوفِ بَعَثْتُهُمْ
لَيْلاً، وَقَدْ مَالَ الكَرَى بِطُلاهَا[٣]
وَسَرَيْتُ فِي وَعْثِ الظّلامِ أقُودُهم
حتى رَأيتُ الشّمْسَ زَالَ ضُحاهَا[٤]
وَلَقِيتُ فِي قُبُلِ الهَجيرِ كَتِيبَةً
فَطَعَنْتُ أوّلَ فَارِسٍ أُولاهَا[٥]
وَضَرَبْتُ قَرْنَيْ كَبْشِهَا فَتَجدّلا
وَحمَلتُ مُهرِي وَسْطَها فَمَضَاهَا[٦]

(١) مداعس، المفرد منهم مدعس: الكثير الطعن. وُقُر: المفرد منهم وَقور: الراسخون في ميادين القتال. تلك الخيول يمتطيها أبطال جرّبوا الحروب، وهم على دراية في الطعان؛ وذلك من أسباب الانتصار ومن ذلك أيضاً الثبات وقت الضيق وشدّة أوار المعركة.

(٢) الأروع: الجميل المظهر والشريف النبيل. المرس: الصبور في الحرب. لا يزال الشاعر يمدح أفراد كتيبته الشهباء، ففيها أبطال أماجد نبلاء ذوو شرف، يمتازون بالصبر عند الشدائد وشدّة الزحام، وذلك عندما تبدو خصى خيولهم وقد ارتفعت حتى التصقت بكلاها.

(٣)، (٤) شمّ الأنوف: أعِزّة كرماء. طلاها: أعناقها. إن صحبة الشاعر يأنفون الضيم ويرفضون العار، وقد تخلّوْا عن الراحة إلى جانب خليلاتهم في الليل، فنهضوا يُلبّون النداء، وسَرَوْا ليلاً إلى الأعداء، وهو على رأسهم يحثّهم، وقد مزّقوا حُجُب الظلام وقد فاجأوا الأعداء مع إطلالة الفجر الأولى.

(٥)، (٦) قُبُل الهجير: أوله. الهجير: شدّة الحرّ عند الظهيرة. يصف الشاعر =

حـتـى رَأيْـتُ الـخَـيْـلَ بَـعْـدَ سَـوَادِهَـا
حُـمْـرَ الـجُـلُـودِ خُـضِـبـنَ مـن جَـرْحـاهَـا[١]
يَـعْـثُـرْنَ فـي نَـقْـعِ الـنّـجـيـعِ جَـوَافـلاً
وَيَـطـأنَ مـن حَـمـيِ الـوَغـى صـرْعـاهـا[٢]
فَـرَجَـعْـتُ مَـحْـمُـوداً بـرَأسِ عَـظـيـمـهـا
وَتَـرَكـتُـهـا جَـزَراً لـمـنْ نَـاوَاهَـا[٣]
مَـا اسْـتَـمْـتُ أنْـثـى نَـفْـسَـهَـا فـي مَـوْطـن
حَـتـى أُوَقّـي مَـهْـرَهَـا مَـوْلاهَـا[٤]

= أفعاله، وقد اشتدّ الحرّ وانتصف النهار، فإذا بمقدم الأعداء يلقى مصرعه بطعنة قاتلة وجهها له عنترة برمحه فتجدّل أرضاً إنه الكبش سيد القوم؛ وإذا ما وقع الرأس تراخت سائر الجنود، فإذا بهم يتهاوون وقد توسّطهم بجواده وسلاحه يفتك بهم ويقتل بهم كيفما اتّفق.

(١) فإذا بطبيعة الأشياء تتغيّر، فالجياد السود تخلّت عن لونها وقد تسربلت بلون أحمر قانٍ من دماء الأعداء.

(٢) النجيع: الدم الطري. الجوافل: الخائفة. حمي الوغى: شدّة الحرب. يصف ردّة فعل تلك الجياد لرؤية الدماء وقد غطتها ولما انهمر منها في أرض فإذا بها لشدّة خوفها من هول المنظر تسارع العدو، فإذا بها تدوس من تلاقيها وتصادفها في ميدان المعركة.

(٣) الجَزَر: اللحم. المناوأة: المعاداة. كانت نتيجة المعركة أن عاد الشاعر منتصراً، وقد قطع رأس عدوّه، وهو يحمله مزهوّاً معتزّاً بفعلته، أما ما تبقى منه فقد تركه للحيوانات الكاسرة والطيور الجارحة؛ وهؤلاء هم أعداؤه أيضاً فتمزّق ما بقي منه.

(٤) ما استمت أنثى: يقصد أنه لم يراودها عن نفسها. مولاها: وليها. ينوّه الشاعر بسموّ أخلاقه، فهو لا يراود أنثى عن نفسها ولا يؤتي الخنا، فإذا أراد زواجاً أدّى مهر من أحبّ إلى وليّ أمرها.

وَلـــمـــا رَزَأتُ أخَـــا حِـــفـــاظٍ سِـــلْـــعَـــةً
إلّا لَـــهُ عِـــنْـــدِي بـــهـــا مِـــثْـــلاهَـــا[١]
أغْـشَـى فَـتَـاةَ الـحَـيّ عِـنْـدَ حَـلـيـلِـهـا
وَإذا غَـزَا فـي الـجَـيْـشِ لا أغْـشَـاهَـا[٢]
وَأغُـضّ طَـرْفـي مَـا بَـدَتْ لـي جـارَتـي
حَـتـى يُـوَارِي جَـارَتـي مـأوَاهَـا[٣]
إنـي امْـرُؤٌ سَـمْـحُ الـخَـلـيـقَـةِ مَـاجِـدٌ
لا أُتْـبِـعُ الـنّـفـسَ الـلّـجُـوجَ هَـوَاهَـا[٤]

---

(١) رزَأت: سلبت غَصْباً. أخو حِفاظ: المداري على حسبه وشرفه. السلعة: كلّ ما كان من مال غير عين. وينوّه الشاعر بمزايا الفتى العربيّ المتوفّرة لديه؛ فهو مع قدرته على ذلك، فإنه لا يسلب أحداً ماله، بل يحافظ ويُداري على حسبه وشرفه وماله، بل إنه كذلك يجازيه خيراً على ما يفعله مع أهله من بِرّ وإحسان أضعاف ذلك.

(٢) أغشى: أتردّد زائراً. حليلها: زوجها. ومن المزايا الرفيعة التي ينوّه بها، فالشاعر يتردّد على جارته زائراً لعلمه أن زوجها موجود، فإذا ذهب غازياً مع الجيش امتنع عن زيارتها احتراماً لمغيب زوجها وحُرْمة لئلا تلوك الناس سيرتها بسوء.

(٣) غضّ الطرف: أخفض نظره، ومن تلك الأخلاق الرفيعة أن الشاعر ينوّه بأنه يخفض نظره، لا جبناً، بل حِفاظاً على جارته حتى تدخل بيتها.

(٤) سمح الخليقة: سهل المعاشرة. ومن تلك الأخلاق السامية أن الشاعر، مع ما امتاز به من قوّة وشدّة بأس، سهل المعاشرة وهو لا ينساق وراء شهوات النفس، بل هو يملك هواه ولا يتصرّف إلّا بما توحيه الرجولة الحقّة.

وَلَـئِـنْ سَـأَلْـتَ بـذاكَ عَـبْـلَـةَ خـبّـرَتْ
أنْ لا أرِيـدُ مِـنَ الـنّـسَـاءِ سِـوَاهَـا[١]
وَأُجـيـبُـهَـا إمّـا دَعَـتْ لِـعَـظـيـمَـةٍ
وَأُغـيـثُـهَـا وَأعِـفُّ عَـمّـا سَـاهَـا[٢]

لم أكن ممن جناها

يخاطب الربيع بن زياد العبسي:

[الوافر]

وَإنْ تَـكُ حَـرْبُـكُـمْ أمْـسَـتْ عَـوَانـاً
فَـإنـي لَـمْ أكُـنْ مـمّـنْ جَـنَـاهَـا[٣]
وَلَـكِـنْ وُلْـدُ سَـوْدَةَ أرّثُـوهـا
وَشَـبّـوا نَـارَهَـا لـمـن اصْـطَـلاهَـا[٤]

(١)، (٢) يخاطب الشاعر المستعلم عن حاله، فيُحيله لمعرفة الجواب على عبلة محبوبته، فلديها الجواب الشافي، فسوف تخبره بأن الشاعر لا يريد سواها من النساء، وأنه على استعداد تامّ للقيام بما تطلبه منه دون تردّد، وعلى مساعدتها إذا ما ألمّ بها مكروه.

(٣)، (٤) العوان من الحروب: الحرب التي تستمرّ طويلاً، حيث تنتصر فئة على الأخرى مرّة وتنهزم مرّة أخرى فتنتصر عدوتها عليها وهكذا دواليك. جناها: سبّبها وأثار نارها، يتبرأ الشاعر من تلك الحرب الدامية التي استمرّت أربعين عاماً بين عبس وذبيان، فهو لم يثرها ولم يعمل على اشتعالها. ولكن نفراً فعلوا ذلك، وهم أولاد سودة حذيفة وعوف وحمل، أبناء بدر من بني فزارة، فهؤلاء أشعلوا نارها بين القبائل، فاصطَلوْا بنارها.